



الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ انخفاض النمو العالم جايسون هيكيل

زينب الكلبانية *

إن نافذة البلدان لتغيير المسار البيئي المخيف للأرض تمر بسرعة. مع تحول تغير المناخ إلى أزمة مناخية على مدار العشرين عاماً الماضية، أصبحت الحلول المقترحة التي من شأنها إعادة تشكيل الحياة الاقتصادية أكثر إلحاحاً وجرأة. خاصة وأن التشريع الخاص بالصفقة الخضراء الجديدة في الولايات المتحدة قد قدمته عضوة الكونغرس ألكساندريا أوكاسيو كورتيز والسيناتور إدمارك في عام ٢٠١٩، وجعل التقدميون العدالة المناخية محورية لكيفية تعاملنا مع التوظيف، والابتكار، ومستويات المعيشة والعدالة الاجتماعية. المبدأ الأساسي هو أنه بدون العدالة المناخية، فإن السياسات الهادفة إلى خلق مجتمع أكثر مساواة ستقتصر بشكل رهيب، وقد لا يكون لها تأثير دائم على الإطلاق. ومع ذلك، وبقدر ما يتمتع به مفهوم الاقتصاد الأخضر من قوة، فإن المتطلبات الجذرية التي تنطوي عليها العدالة المناخية تكشف عن شرح بين الإصلاحيين، وأولئك الذين يسعون إلى تغيير منهجي، وهو ما له آثار على كيفية قيام النشطاء بتوضيح ما هو على المحك في العقد الحاسم المقبل.

الأيديولوجي»، لأنه أشاع المعادلة الخاطئة للناتج المحلي الإجمالي والتقدم البشري على مستوى غير مسبوق. تماماً كما كانت الحركة البيئية تكتسب زخماً، دعمت سلاسل التوريد العالمية الموسعة ونشر النزعة الاستهلاكية على النمط الغربي. وفي الوقت نفسه، أجبرت برامج التكيف الهيكلية من المؤسسات المالية الدولية البلدان النامية على خصخصة أصولها وتقديم أنظمة شديدة التراخي لجذب المستثمرين الأجانب، والشركات متعددة الجنسيات. بحلول نهاية الحرب الباردة، ظلت النظرة العالمية لصانعي السياسة الغربيين الذين يصرحون بالسعي المتواصل للنمو منعزلة على الرغم من الأدلة الواضحة والمتزايدة على أن تغير المناخ البشري المنشأ، يهدد بحدوث كارثة. كما هو الحال مع ترشيح «التحسين» في الماضي، فإن أيديولوجية النمو كسلة اجتماعية عالمية تسببت دائماً في التكاليف الخارجية للموائل وفقراء العالم كلما أمكن ذلك.

بالنسبة لأولئك الذين يتطلعون إلى الماضي القريب لفهم أين أخطأت الرأسمالية ظاهرياً، فإن وجهة نظر هيكيل واقعية. حتى عندما وصلت دولة الرفاهية الحديثة إلى ذروتها الآن، فإن تلك الفترة الفريدة تاريخياً من «الرخاء المشترك» كانت مرتبطة جزئياً بكميات هائلة من الاستيلاء استمرت لقرون. كما استبعدت أيضاً ملايين الأشخاص داخل وخارج «النواة» الصناعية للعالم. وعدت العولمة بمستقبل تستفيد فيه جميع الاقتصادات، لكنها، على عكس مؤيديها، لم تقلل من تحديات الفقر والتخلف في معظم الحالات. في الواقع، غالباً ما أدخلت شكلاً عدوانياً بشكل خاص من استقطاب الدخل، كل ذلك بينما تدعم أنماط استهلاك النخبة التي تختبر بعنف حدود الكواكب.

النتيجة، بالنسبة لهيكل، واضحة: لا يوجد مسار عملي لإحياء الرأسمالية الديمقراطية، ومحاولات القيام بذلك ستحرمننا من الوقت الثمين الذي نحتاجه لابتكار، وتنفيذ نهج للاقتصاد العالمي قائم على التضامن الراديكالي. يمكن اعتبار انخفاض النمو بدوره شكلاً من أشكال التعويضات العالمية، سواء من خلال إعادة التوزيع أو استعادة مشاعرنا.

أن تزود، غالباً من خلال العبودية أو غيرها من الأساليب الوحشية المماثلة، بالعديد من المواد الخام التي تغذي التصنيع. عبر العديد من المقاطع البليغة، يستهدف هيكل الدافع الوجودي للرأسمالية لفصل البشر عن الطبيعة، وتقسيم الكل إلى فئات مختلفة من الموارد. يكتب أن «التحسن أصبح حجة الاستيلاء». ضمناً في تحليل هيكل فكرة أن قوة الرأسمالية في وضع الأفراد في منافسة مباشرة مع بعضهم البعض تمثل خروجاً عن الأشكال السابقة للتنظيم الاجتماعي، والنشاط الاقتصادي، فضلاً عن الأساليب السابقة لهيمنة النخب. وهو يجادل بأن «مبادئ الإنسان الاقتصادي التي نفترض أنها محفورة في الطبيعة البشرية قد تم وضعها أثناء عملية التضمين؛ من خلال فلسفة «الثنائية»، حلت حتمية تحويل أكبر عدد ممكن من الأشياء الطبيعية إلى سلع محل المعاملة بالمثل البشرية مع بقية العالم الطبيعي.

إن هدف هيكل هو توجيه القراء الجدد إلى خطاب تغير المناخ، والذين يرغبون في فهم القوس الطويل الذي أوصلنا إلى هذه اللحظة المحورية في التاريخ. أدى التصنيع المتقدم والحربان العالميتان إلى نشر الحداثة التكنولوجية في جميع أنحاء أمريكا الشمالية وأوروبا، مع ترسيخ هيكل القوة بين البلدان الغنية والفقيرة التي كثيراً ما تؤدي إلى ركود التنمية الأخيرة. في الوقت نفسه، أوجدت مهنة الاقتصاد معايير جديدة لقياس النشاط الاقتصادي، ولكن الطريقة التي تم بها قياس الأداء الاقتصادي أصبحت مهمة بشكل كبير بالناتج المحلي الإجمالي. بدلاً من اتباع نهج شامل لتقييم اقتصاد البلد من خلال مؤشرات الرفاهية العامة، ضاعف الاقتصاد السائد الحاجة المستمرة لرأس المال إلى التوسع. يذكرنا هيكل أنه عندما انتهت حقبة ما بعد الحرب الكينزية والنضالات المناهضة للاستعمار، تغلبت «النزعة النموية» على أفكار أكثر إنصافاً للتنمية التي تقودها الدولة في الجنوب العالمي بينما بدأت النيو ليبرالية في تقليص دول الرفاهية في شمال الكرة الأرضية. ووفقاً لهيكل، فإن «النمو» يرقى إلى مستوى «الانقلاب

الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ تراجع النمو العالم»، وهو كتاب جديد لعالم الأنثروبولوجيا الاقتصادية في لندن جايسون هيكل، يواجه هذا الصدع، ويحدد الفجوة بين استراتيجيات النمو «الخضراء» من ناحية، والانتقال إلى ما بعد رأسمالية الاقتصاد من ناحية أخرى. المشكلة الأساسية، وفقاً لهيكل، هي أن النمو «الأخضر» «خيال» مع «عدم وجود دعم تجريبي»، مما يعزز في النهاية انتشار «النمو» في السياسة. كما يكرر هيكل في جميع أنحاء Less Is More، فقد فرضت الرأسمالية ضغوطاً هائلة على الترابط البيئي، مما جعلنا أقرب إلى نقاط التحول حيث تصبح مرونة الأرض مستنفدة، وتؤدي حلقات التغذية الراجعة المكثفة إلى حدوث المزيد والمزيد من الأزمات المترابطة. يجادل هيكل بأن الصفقة الخضراء الجديدة لن تنجح إلا في إيقاف تسارعنا نحو نقاط التحول هذه إذا أحدثت ثورة في طريقة تفكير الحكومات والاقتصاديين والمجتمعات نفسها في النمو. باختصار، يجب أن يتخلى فهمنا الكامل للاقتصاد السياسي عن الأولوية غير المستدامة وغير الأخلاقية التي ارتبطت بالنمو منذ التصنيع.

من خلال تاريخ سريع، ولكنه حي للانتقال من الإقطاع إلى الرأسمالية، يرسم هذا الكتاب المفاهيم والممارسات التي مع مرور الوقت، تساوي النمو بالتقدم، وبالتالي جعلته شرطاً مسبقاً للسياسة العامة على نطاق عالمي. وصلت أوروبا إلى نقطة تحول بطيئة، ولكنها حاسمة خلال الفترة الحديثة المبكرة، عندما انعكست مكاسب حركات تمرد الفلاحين المتعاقبة من خلال تطوير المشاعات، في ظل نظرية «التحسين» الرأسمالية الناشئة. تبرر هذه الممارسة نزع ملكية الأرض إذا كان من الممكن استخدامها بشكل أكثر إنتاجية في ظل الملكية الخاصة، وبالتالي إعطاء الأولوية لقيمة التبادل على قيمة الاستخدام وتوسيع نطاق تسليع الزراعة، والتصنيع الصغير، والعمل البشري في جميع أنحاء المجتمع. خلقت الدولة القومية الجينية والطبقة الرأسمالية ندرت مصطنعة للجماهير؛ التي لا تملك الآن والتي تعتمد على الأجور، بينما وسعت منطق التحسين ليشمل المستعمرات البعيدة التي من شأنها



ضغط الأجور عبر المجتمع. في عالم مثالي، سيسهل هذا التحول الاقتصادي الذي يمكن لغالبية الناس التكيف معه واحتضانه.

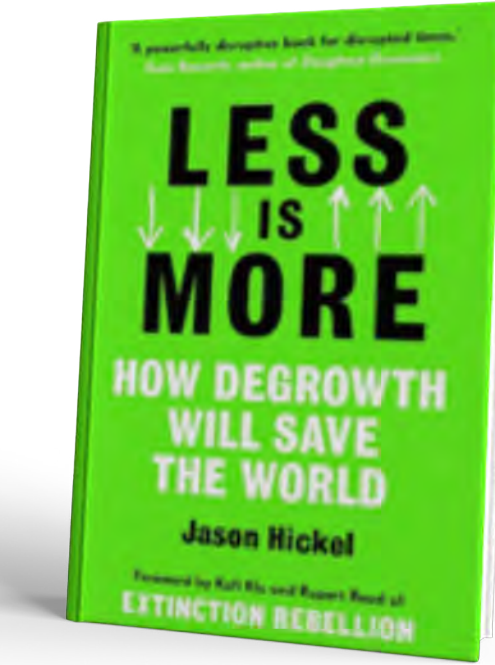
ومع ذلك، فإن تراجع النمو محكوم عليه بالفشل النبيل إذا تم تنفيذه فقط من قبل عدد قليل من الدول المنفردة. في حين أنه من المتصور أن اتحادا كبيرا من الحكومات الديمقراطية الاجتماعية قد يكون قادرا على فرض قيود كبيرة على الصناعات الاستخراجية المضرة، فإن هذا لن يؤدي إلا إلى تخفيف الكثير من الضرر دون إجراء الولايات المتحدة تغييرات رائدة. كان المؤتمر الوطني الجمهوري الأخير بمثابة تذكير مخيف بأن الالتقاء المتضخم للقومية البيضاء والبلوتوقراطية داخل الحزب الجمهوري، يهدد بدفع المجتمع الأمريكي إلى نقطة الانهيار، مما يجعل احتمالية الديمقراطية المحمية، ناهيك عن القيادة الحقيقية بشأن تغير المناخ، بعيدة بشكل متزايد. في خضم كل الخوارق المناهضة للعلم والمواطنة، فإن مجاهدي الحزب الجمهوري ضد «اليسار الراديكالي» والصفقة الخضراء الجديدة فعالون بسبب الارتباطات الغيورة بأسلوب الحياة الذي صقله كل من الجمهوريين والديمقراطيين بقوة. عندما يتردد الجمهوريون بشأن التهديدات التي تتعرض لها «القيم الأمريكية»، فإنهم يبلغون مؤيديهم أن أنماط الاستهلاك التي تعزز التسلسل الهرمي العرقي في البلاد تتعرض للهجوم، وأن أي شيء يحاول إصلاح الرأسمالية - بغض النظر عن الخروج عنها سوف يدمر «الطريقة الأمريكية».

هذا يغذي سياسة الخوف والاستياء مما يمكن أن يضع، على حساب ما يمكن كسبه - سواء بالنسبة للمجتمع أو العالم. في المقابل، فإن الخلط بين القيم والنزعة الاستهلاكية الجوفاء يبشر بشكل قبيح بأي نوع من التضامن الهادف مع الجنوب العالمي، ويجعل المستقبل الذي تُشحن فيه السياسة الأمريكية بشأن محنة لاجئي المناخ المحليين أكثر وشيكا مع مرور كل عام.

الأقل هو المزيد من المطالب التي لا نستسلم لها، لكنها تحذر أيضا من أن الصفقة الخضراء الجديدة التي يجب أن تبدأ بديلا حقيقيا للرأسمالية من أجل النجاح. كيف نصل إلى هناك قبل أن نتقدم إلى ما بعد 1,5 درجة يعتمد على مجموعة غير عادية من الإجراءات، وقد يتطلب المزيد من التحديات القتالية والدرامية للمصالح الاقتصادية الراسخة. ولكن ربما يكون الأهم هو زرع الاعتقاد بأن أخلاقيات الإدارة يمكن أن تعيد تعريف الحياة الجيدة - وتوفر الوفرة والأمان اللذين سيدمرهما الدفاع المتعصب عن الرأسمالية.

- اسم الكتاب: الأقل هو الأكثر: كيف سينقذ انخفاض النمو العالم
- المؤلف: جايسون هيكيل
- سنة النشر: 2020م
- دار النشر: وينداميل للنشر

* كاتبه عمانية



الملوثين الرئيسيين، وتدير أجندة خفض النمو في الوقت المناسب لإحداث فرق؟ هذه أسئلة صعبة، مشحونة بمعرفة أن هيمنة الأحزاب السياسية الرأسمالية في بلدان مثل الولايات المتحدة جعلت أي شكل من أشكال الاشتراكية مرادفا للفقر.

هناك إجابات جزئية يمكن العثور عليها في إطار عمل ما بعد الرأسمالية في كتاب «الأقل هو الأكثر»، وقد تم تفصيل بعضها بشكل أكثر تفصيلا في أدبيات أخرى حديثة عن تغير المناخ، مثل كتاب Ann Pettifor's The Case For The Green New Deal. خلال مناقشته للتغييرات البراغمة التي يمكن أن تجربها الحكومات، أشاد هيكيل بنوعية الحياة التي توفرها دول الرفاهية الرأسمالية في الدول الاسكندنافية، لكنه يستشهد بكوستاريكا كتقريب مثالي لاقتصاد دولة يتسم بالمساواة والثبات، والذي حقق معايير قوية للتنمية البشرية. بشكل عام، كان هيكيل في أكثر حالاته إقناعا، عندما يذكرنا بأن المستويات العالية من عدم المساواة تزرع التعاسة. من التناقص المخطط للسلع المنزلية الحديثة إلى إنشاء أو تغيير العلامة التجارية للكليات، فإن الكثير من الحياة الاقتصادية تحكمها روح القصور، والتي تزداد عبثا من خلال الندرة غير المعقولة للأشياء الفعلية التي تجعل المجتمع متماسكا: الرعاية الصحية والتعليم والإسكان والتغذية والعمل بأجر جيد.

قضية كيفية تقسيم العمل في الاقتصاد الأخضر وضمان أجور جيدة تلوح في الأفق بشكل كبير بالنسبة لمناصري تراجع النمو. ولكن على عكس الاعتراضات التي تشير إلى أن تراجع النمو يصل إلى حد التقشف أو صيغة للضرر الاقتصادي، فإنه يمكن أن يكمل مطالب الحركة العمالية. على مستوى الدولة الضردية، من شأن سياسة تراجع النمو المناسبة أن تؤكد من جديد أهمية نزع سلعة العمل من خلال دولة رفاهية عالمية قوية، وتضمن التوظيف الكامل من خلال أسبوع عمل أقصر، مما يتيح مزيدا من الوقت للأسرة والترفيه. من خلال الحد بشكل كبير من الصناعات كثيفة الكربون، يمكن للسياسة العامة أن تعزز الصناعة المحلية والزراعة المستدامة وأعمال الرعاية، ومنح بعض التوسع في قطاعات أخرى مع تعزيز

لسوء الحظ، عند مناقشة العقوبات التي تحول دون مكافحة تغير المناخ، فإن العديد من صانعي السياسات، والسياسيين ذوي التوجه الإصلاحية، يقصرون تركيزهم على صناعات الوقود الأحفوري، دون التذرع بالتاريخ الأوسع الذي يتنقل فيه هيكل. على الرغم من أن شركات الوقود الأحفوري شائنة، فقد كان من الممكن للحكومة مقاومة الاستيلاء الروتيني على السياسة من قبلها، وتنفيذ اللوائح الصارمة مع تعزيز إنتاج الطاقة المتجددة على نطاق أوسع بكثير. على الرغم من أننا يجب أن ندين فشل الإدارة السياسية هذا، إلا أن التركيز على عدد قليل من المذنبين الهائلين يتجنب مناقشة أكثر صدقا حول التكاليف التي فرضتها أغنى بلدان الشمال العالمي - وأغنى مستوياتها - على هذا الكوكب. طالما أن القادة التقدميين الذين يصفون أنفسهم بأنفسهم يسعون إلى «إصلاح» الرأسمالية، وتدوينها بطرق جديدة للحصول على «الرخاء المشترك» من خلال النمو، فإن القوة التنظيمية ستفضل الشركات المبتكرة على الشركات العملاقة غير القابلة للتكيف، دون تغيير العقد الأخرى التي تؤدي إلى عدم المساواة العالمية وتغير المناخ.

يحذر هيكيل من أن التركيز المهيمن على مصادر الطاقة المتجددة لا يفضلنا عن الضرورات الزائفة للنمو. علاوة على ذلك، فإن النمو الأخضر هو تناقض لفظي، لأن الانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة سيطلب زيادة كبيرة في استخراج المعادن والمعادن الأرضية النادرة، مما سيؤدي إلى تفاقم أزمة الإفراط في الاستخراج الموجودة بالفعل. لمنع الاقتصاد العالمي من رفع درجة حرارة الأرض إلى ما بعد 1,5 درجة مئوية - وهو مستوى من شأنه أن يستمر في الاضطراب البيئي الذي يتكشف في كل قارة، ولكن ربما يمنع هذا النوع من الانهيار المجتمعي الواسع النطاق الذي ستحدثه ثلاث درجات أو أكثر - يجب أن يكون الانتقال إلى مصادر الطاقة المتجددة يقابله تضافر الجهود لتقليل البصمة المادية الإجمالية لأغنى وأكبر الاقتصادات.

بالنظر إلى أن العولمة، رسخت فكرة أن الحداثة والنمو لا ينفصلان، فإن وصفه هيكيل لما بعد الرأسمالية، والتي يشاركها النشطاء الشباب مثل غريتا ثونبرج، وأعضاء تمرد الانقراض، تنفصل بشكل جذري عن السياسة العادية. يتمثل جوهر «الأقل هو الأكثر» في أن الندرة المصطنعة التي تتطلبها الرأسمالية أدت إلى نموذج نمو يهدد الندرة الحقيقية، حيث إن الانتهاكات في حدود الكوكب تخاطر بتدمير القدرات التجديدية لأنظمتنا البيئية. بالنسبة إلى منتقدي تراجع النمو والاقتصاد البيئي، فإن فكرة «الأقل هو الأكثر»، هي حقا وجهة نظر هيكيل: إذا كان النمو المركب سيقرب الحضارة الإنسانية من خلال نقاط تحول لا رجعة فيها، فإن الترياق يدرك أن لدينا الوسائل لتوفير الوفرة دون إدامة مستويات الاستخراج الخطرة.

بالنسبة لأولئك الذين يحملون باقتصاد عالمي مختلف، فإن تصور حكم ما بعد الرأسمالية أمر مثير حقا، لكنه يمثل تحديا لا يمكن فهمه تقريبا. كيف تقنع بضع مليارات من الناس بالتخلي عن أنماط الخضوع للرأسمالية المتقدمة، وتؤكد لهم أن سياسة جديدة للإشراف وإعادة التوزيع ستسهل الأمن والحياة الهادفة؟ لنفترض أن غالبية سكان العالم يقبلون علم تغير المناخ، كيف يمكنك دفع المرشحين المناسبين إلى الأغلبية التشريعية التي ستقضي على